أعمدة التصوف الإسلامي في ميزان المستشرقين
أبن عربي أنموذجاً

الدكتور مشتاق بشير الغزالي
كلية التربية للبنات/جامعة الكوفة

<u>المقدمة</u>

إن دراسة التصوف الإسلامي بشكل عام من الدراسات المهمة والضـــرورية في مجال الفكر التاريخي ، ولا ريب في ذلك فالتصوف يرتقي الى أعلى مراتـــب الفكر الإنساني وأرقاها ، فالمتصوف عادةً لا يحمل فكراً عادياً كباقي الناس ، ولا ينظر إلى الأشياء المادية نظرة عاديه . ولذلك كان للمتصوفة اثراً كبيراً في الحياة الإسلامية ، بل وتعدى ذلك ليشمل الحياة الانسانية عمومـــاً مـــن خـــلال افكـــار ونظريات واسهامات اولئك المتصوفة المسلمين .

لقد كان للمستشرقين اهتمامٌ خاص بالتصوف الإسلامي واعلامهُ ، وصـــاحب هذا الاهتمام انبهار واعجاب (قلما نجدهُ في أقلامهم صوب الإسلام واعلامـــه) . وكان أبن عربي المتصوف الفيلسوف المسلم احد ابرز اعلام التصوف الاسلامي ، لقد نال هذا الاهتمام البالغ من كبار المستشرقين ، فعكفوا على دراسة نتاجه الثّر ، ولم يخفوا اعجابهم الشديد به ، وبافكاره ، وبفلسفته الصوفية . لـــذلك ارتأينـــا ان نجعل منهُ أنموذجاً لبحثنا الذي وضعناه تحت عنوان (اعمدة التصوف الاســـلامي في ميزان المستشرقين _ أبن عربي أنموذجاً) .

اسمهُ ونشأتهُ

هو أبوبكر محمد بن علي بن محمد بن احمد بـــن عبـــد الله الطـــائي [١] . المعروف بابن عربي وله القاب اخرى عرف بها كلقب الشيخ الاكبـــر[٢]، وابـــن افلاطون[٣] ، وعرف في الاندلس بابن سراقة[٤] .

ولد الشيخ ابن عربي في مدينة مرسيا جنوب شرقي الاندلس ، فـــي الســـابع عشر من رمضان (٥٦٠هـــ/١١٦٤م)[٥] ، ونشأ في كنفِ أسرةٍ غنية ومعروفـــة بالتقوى والعلم[٦] ، فكان ذلك جوا مثاليا لنشأةِ عالم فاضل ، ولما بلغ ابن عربـــي الثامنة من عمره (٥٦٨هـــ/١١٧٢م) انتقل مع أسرته الى مدينة اشبيلية ، بســـبب اضطراب الأحوال السياسية في مرسيا ، وأخذ هناك بدراسة الحديث والفقه وسائر العلوم الدينية[٧] ، وانتقل بعدها الى قرطبة حيث التقى بابن رشد احد اعظم فلاسفة المسلمين والعالم ، وكان يومذاك قاضي قرطبة[٨] .

ولمّا بلغ ابن عربي الثلاثين من عمره اخذ يتنقل في أرجاء العالم الإسـلامي ، ويلتقي بكبار المتصوفة ، ففي سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) وصل الى فـاس وعكـف على الدراسة والمجاهدة هناك[٩] ، وتجول كثيرا في مدن المغرب العربي حتـى عزم المسير نحو المشرق الإسلامي فوصل مكة ومكث فيها ما بين (٥٩٨هـ ـ ٦٠٠هـ)[١٠] ، وتمتع بالجو الهادئ والروحاني الذي امتازت بهما هذه المدينة ، فكتب (مشكاة الانوار فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاخبار)[١١]، بعدها تنقل بين بغداد والموصل والقاهرة ليعود مرة ثانية الى مكة عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ثم استقر لاقل من عام في قونية في اسيا الصغرى مـا بـين (٦٠٧-٦٠٨هـ) ، وكانت شهرة ابن عربي قد سبقته الى بلاط حاكم قونية الذي خـرج بنفسه لاستقباله بالاكبار والحفاوة وحاول ان يستميله للبقاء في بلاده[١٢] .

انتقل بعدها نحو بغداد (٦٠٨هـ/١٢١١م) والتقى هناك بصوفي كبيـر هـو شيخ مشايخ الصوفية في بغداد آنذاك وهو شهاب الدين السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف ، الذي وصف ابن عربي بانه :" بحر الحقائق "[١٣] .

بعد بغداد زار مكة للمرة الثالثة ، ثم انتقل الى دمشق ليستقر فيها وبشـكل نهائي ، وليصبح امير دمشق احد تلامذته وهو الملك المعظم أبن الملـك العـادل الذي توفي سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) والذي تمتع بصلة وطيدة بالشيخ ابن عربـي وحصل على اجازةٍ منه بتعليم مصنفاته[١٤] .

شيوخ ابن عربي

حينما تحول ابن عربي الى طريق التصوف سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) عكـف على قراءة الكتب وتتلمذ على يد شيوخ التصوف ، وقد صرح بتلقيـه التصـوف خلال إقامته في اشبيلية على يد موسى بن عمران الميرتلي الذي كان على طريق المحاسبي[١٥] ، وقد تلقى منه ابن عربي كيفية تلقي الإلهامات الإلهية وقال عنه ابن عربي :" وهو من اكبر من لقيته يقال له موسى بن عمران سيد وقته "[١٦] .

وتعلم ابن عربي من ابو الحجاج الشبُّربلي الاتصال بـأرواح المـوتى [١٧] ، فضلاً عن يوسف الكومي وعبد الله بن المجاهد وابوعبد الله بن قيسون[١٨] ، ومن

شيوخه البارزين في الزهد عبدالله المغاوري[١٩] ، وكان اول مرشد روحي لابن عربي هو شيخه ابي العباس المغربي الذي تعلم منه نكران الارادة طاعةً لله وقطع علائق الاهل لتستبدل مكانها علائق مع اهل الله[٢٠] ، فضلاً عن عدد اخر من شيوخه قد ذكرهم الباحثون[٢١] ، واكثر ما يستحق الذكر منهم هما شيختان صالحتان هما ياسمين الصوفية ، وفاطمة القرطبية[٢٢] .

مما تقدم يتبين كثرة شيوخ ابن عربي وتنوع طرقهم الصوفية ، فكان لذلك الاثر البالغ في صقل شخصيته الصوفية ، واستفادته الكبيرة من هذا التنوع في مجمل حياته .

مؤلفاته

يُعرف أبن عربي بكثرة نتاجه العلمي ، فهو يختلف عن كثير من علماء المسلمين بالكم الهائل الذي انجزه في حياته ، فقد ألف نحو مائتين وتسعة وثمانين كتاباً ورسالة[٢٣] ، حتى أثار دهشة وعجب بعض المستشرقين ، فقد وصفه المستشرق الألماني بروكلمان :" بانه مؤلف من اخصب المؤلفين عقلاً واوسعهم خيالاً وذكر لهُ نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً "[٢٤] . وذكر المستشرق لاوندو :" ان ابن عربي كرس حياته ... في المقام الاول للدراسة والتأمل والتدريس وروي انه الف نحواً من ثلاثمائة كتاب في التصوف والالهيات والفلسفة والسيرة والشعر"[٢٥] . اما نيكلسون فيرى :" ان ابن عربي وضع مؤلفاته العديدة خلال اسفاره ومحادثة المتصوفة وعدتها حوالي الثلاثمائة حسب احصائه ، وقد اشتهر اثنان من هذه المؤلفات بصورة خاصة فعُدَّ ابن عربي بسببهما اعظم متصوفة المسلمين قاطبة وهما الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم "[٢٦] .

أولاً: كتاب الفتوحات المكية:

لقد ضم هذا الكتاب القّيم شيئاً كثيراً عن حياة أبن عربي رغم انه قد تخصص بجمع علوم الصوفية كلها ، فكان من بين أعظم وأشهر كتبه[٢٧] .

ثانياً: كتاب فصوص الحكم:

وفي هذا الكتاب خلاصة مذهب ابن عربي في نظرية الاتحاد ووحدة الوجود[٢٨] ، ويصنف بعضهم هذا الكتاب على انه اعظم مؤلفات ابن عربي كلها واعمقها في تشكيل العقيدة الصوفية في عصره ، فقد أقّر مذهب وحدة الوجود في صورته النهائية[٢٩] ، حتى ان المستشرق الانكليزي نيكلسون حاول ترجمة هذا الكتاب الى الانكليزية ، ثم مالبث ان عدل عن هذه المحاولة لصعوبة الكتاب واستحالة نقل مصطلحاته ، وقال في وصفه للكتاب :" ونظريات ابن عربي في الفصوص صعبة الفهم وأصعب من ذلك شرحها وتفسيرها ، لان لغته اصطلاحية خاصة مجازية معقدة في معظم الاحيان واي تفسير حرفي لها يفسد معناها ، ولكننا اذا اهملنا اصطلاحاته استحال علينا فهم كتابه واستحال الوصول الى فكرة واضحة عن معانيه "[٣٠] .

ونظراً لكثرة مؤلفاته وتنوعها في علوم شتى فقد نال اعجاب الكثيرين من العرب ، فقد وصفه الكتبي قائلاً :" ان ابن عربي من اعظم مؤلفي الصوفية ، ومن اعظم المؤلفين على الاطلاق انتاجاً "[٣١] . كما وصفه احد الباحثين المحدثين بانه :" من اشهر فلاسفة ومتصوفة الاندلس"[٣٢] .

مذهب ابن عربي في التصوف

دخل ابن عربي ميدان التصوف وهو ابن الحادية والعشرين من العمر في سنة (٥٨٠هـ/١١٦٤م) حينما كان في الأندلس ، واشتهر بالتصوف والزهد والتقشف وحرمان النفس من ملذات الحياة ليخلص لله تعالى[٣٣] .

وقد مَّر معنا انه تتلمذ على ايدي كثيرٍ من المتصوفة ، ولكن سرعان ماتركهم واعتزل الناس وخلا الى المقابر ، يقضي عندها النهار بطوله ، يتصل بالارواح جالساً على الارض محاطاً بالمقابر ومستغرقاً في ذلك الساعات الطوال[٣٤] ، حتى سمع باحد مشايخه وهو يوسف بن خلف الكومي قد انتقدهُ بتركه مجالسة الاحياء وراح يجالس الموتى ، فرد عليه ابن عربي قائلاً :" لو جئتني لرأيت من أُجالس"[٣٥] .

ويجد المستشرق بلاثيوس ان التصوف عند ابن عربي معرفة تجريبية وتذوق لاحوال المعرفة التي تولدها في النفس المجاهدات الزهدية ، وهو ليس علم نفس وان كان هذا في مضمونه ، لانه يقوم بتحليل وتفسير الظواهر الخارقة للشعور كلما امكنه ذلك ، أي تفسير اسرار الحياة الروحية ويجعل اليقين من شأن نور الايمان وحده وينكر على الفعل الطبيعي ان يكون معيار الحق(٣٦) .

ومن طريف ما يروى عن ابن عربي واختصاصه بذوق المعرفة : ان تلميذاً لهُ جاء يوماً ليبلغهُ ان الناس ينكرون عليه علومه ويطالبونه بالدليل عليها : فقال ناصحاً تلميذهُ : اذا طالبك احد بالدليل والبرهان على علوم الاسرار الالهية فقل لهُ ما الدليل على حلاوة العسل ؟ فلابد ان يقول لك هذا علم لا يحصل الا بالذوق ، فقل لهُ هذا مثل ذاك(٣٧) .

ويؤكد بلاثيوس على ان صورة الإله عند أبن عربي هو الوجود المطلق الخالي من علاته وحاله واسمه وصفته وهو الذي لا يمكن إدراكه إلا بالاستبعاد التدريجي لكل معرفة متميزة ، أي كل معرفة حسية وخيالية ومنطقية وموضوعها ومحتواها هو المخلوقات(٣٨) .

ومذهب ابن عربي في طبيعة الحالة الصوفية الصحيحة يعبر عنها قوله الآتي :" اذا اشتدت حالة الغيبة ففقد العبد الشعور بكل ماهو محسوس ، ثم ورد عليه وهو في هذه الحالة اشراق وتجل يدرك مضمونه الفكري ويفسره بعد زوال حالة الغيبة ، فان هذه الحالة الصوفية صحيحة وإلهية ومن اثارها انفعال بالسرور الروحاني مصحوب احياناً بإحساس الانتعاش(٣٩) .

والزهد عند ابن عربي يتمثل بالخلوة(٤٠) ، ويرى نيكلسون انه جعل التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً وهي الأخلاق الإلهية(٤١) ، ويعترض نيكلسون على عدّ تصوف ابن عربي زهداً او تقشفاً ، بل يراه اتجاهاً عقلياً خاصاً يرمي إلى اثبات شخصية الإنسان في الوجود الإلهي ، ثم ان طريقة ابن عربي طريقة خاصة به بعيدة عن تقليد أيةِ طريقةٍ أخرى(٤٢) .

ويلخص بلاثيوس خصائص مذهب ابن عربي في التصوف بقوله :" وأول خاصية تبرز للعيان هي الأثر الأفلاطوني المتغلغل في كل مذهبه وبخاصة في

تصوفه ورغبة ابن عربي الشديدة في تكييف تحليل الظواهر الصوفية مع المصطلح الأفلاطوني ، وان تصوفه يكشف عن طابع مميز من المذهب المستور المستتر ، معناه العميق غير ميسور لعامة الناس فهو من شأن الخاصة وهذا الاستسرار يضفي على روحانية ابن عربي طابعاً سرياً يميزها عن كل مذاهب الروحانية في المسيحية حتى اسماها واصفاها "[٤٣] .

الحب الإلهي عند ابن عربي

ان كل الطرق التي مرت بها النفس سواء مايتعلق منها بحياة الزهد او التصوف ، يجب ان تؤدي الى هذه الغاية ، وهي الاتحاد بالله تعالى عن طريق الحب ، وايما فرد كان على علم بالشعر الصوفي في الإسلام ، يدرك ان شوق الروح لله تعالى قد عبر عنه الصوفية في عبارات تكاد تكون عبارات المتغزلين ، بل ان التشابه ليشتد احياناً حتى يلتبس علينا المعنى الذي اراده الشاعر ، ولقد اضطر ابن عربي الى كتابة شروحٍ لبعض أشعاره التي شدا فيها بمفاتن حسنائه ليرفع التهمة الخاطئة عن نفسه[٤٤] .

لقد قسم أبن عربي الحب الإنساني على نوعين : نوع طبيعي يشارك فيه الانسان البهائم والحيوانات ، والنوع الثاني هو الحب الروحاني الذي ينفصل فيه الانسان عن الحيوانات ويعلو عليها عنها . فأما الحب الطبيعي عموماً فهو الحب الذي يتطلب به المحب ارضاء نفسه ، بينما الحب الروحاني هو الحب الذي يتطلب به المحب رضا المحبوب[٤٥] ، وهذا النوع من الحب يسمى (الحب الإلهي) وهو مايطلق على حبنا لله تعالى ، ويرى ابن عربي ان الحب الحقيقي يستغرق حواس المحب وعقله فلا يرى حينئذ إلا محبوبه[٤٦] .

ان حب الله ينبغي ان يكون ثمرة ممارسة اعلى الفضائل الاخلاقية وان يكون الغاية القصوى لكل المقامات العالية والحب يرتفع الى اعلى درجات السمو والروحانية كي يكون رمزاً نبيلاً عن الحب الصوفي ، وابن عربي اكد على ان الله تعالى يتجلى لكل محب تحت حجاب المحبوبة التي يعشقها الا بقدر ما يتجلى فيها من مشابهة للالوهية لان الخالق يحتجب عنا[٤٧] .

لقد نظم أبن عربي على اساس موضوع الحب الإلهي اشعاراً ذات نفحة صوفية ، فاحتوى بهذه الطريقة الرمزية الجميلة ديوانه (ترجمان الاشواق) ، ثم اكملها بشرح صوفي وضعه بعنوان ذخائر الاعلاق في شرح ترجمان الاشواق[٤٨] .

ويبرر نيكلسون لابن عربي لجوئه للشعر فيقول :" ان العارفين (ويقصد المتصوفة) لا ينقلون مشاعرهم جملة الى غيرهم من الناس ، وكل الذي يستطيعونه ان يرمزوا بها الى الذين بدأوا بدأهم "[٤٩] . ثم يشير نيكلسون الى ان ابن عربي قد صرح بانه ليس هنالك من دين ارفع من دين الحب والشوق الى الله تعالى[٥٠] .

وهنا يكاد نيكلسون ان يفهم فلسفة ابن عربي الصوفية ويفسر الحب الالهي عنده بقوله :" ان فلسفة ابن عربي تأخذ به الى ابعد من عالم الدين الايجابي ، فاذا كان الله هو الذات لكافة الاشياء العاقلة المفهومة نتج عن ذلك ان يتجلى في كل نوع من المعتقد بدرجة متناسبة مع قدرة المؤمن المقدرة مسبقاً ، والصوفي وحده الذي يرى انه واحد في كل الهيئات ، لان قلب الصوفي قادر على تسليم الاشياء ويتخذ أي شكل يتجلى فيه الله كالشمع الذي يتقبل نقش الختم "[٥١] .

ويتكلم ابن عربي عن حبه لله تعالى :" ولقد بلغ بي قوة الخيال ان كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني ، فلا اقدر انظر اليه فيخاطبني ، واصغي اليه وافهم عنه "[٥٢] . ويقول ايضاً ان الله تعالى يحب قوماً لصفة تقّربُهم ، كما انه يسلب محبته عن قوم لصفات تقوم بهم ايضاً ، ويكون حب العبد لله باتباع رسل الله واداء الفرائض والنوافل لله ، من اجل ذلك قال الله تعالى عن نفسه (لايزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه فاذا احبتته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ، فاذا ادى العبد الفرائض كلها ازداد حب الله لذلك العبد)[٥٣] .

من خلال ماسبق تتضح لنا الرؤية للحب الالهي عند ابن عربي ، فهو في اشعاره الصوفية قد وضع تصوراً لذلك الحب الذي اختلف الناس في فهمه ، فمن الصعب فهمه بشكله الصحيح الا من عرف طريق التصوف .

نظرية وحدة الوجود عند ابن عربي

رأى ابن عربي ان الوجود كله واحد ، وانه ليس الا مظهراً للذات الالهية[٥٤] ، خيال يقوم على هذا العالم المتنوع في اشكاله ، وهي بالحقيقة مظـــاهر متعـــددة لحقيقة واحدة هي الوجود الالهي ، ومن هذه النظرية تفرعـــت جميـــع آراء أبـــن عربي وافكاره[٥٥] .

واكد بلاثيوس الى ان ابن عربي قد مهد الاسس الميتافيزيقية لهذا المذهب في الاتحاد ، فاذا كان العالم يصدر عن الله ، والمخلوقات هي علامات واثار وتجليات لهُ ، واذا كان الجوهر او الحقيقة العددية للكون واحدة ، هي الحقيقة الالهية ، فمن الواضح ان ادراك هذه الوحدة في الوجود ينبغـــي ان يكـــون المطلـــب الاســـمى للتصوف ، فالنفس بعودة مثالية ترجع الى الاتحاد بالله الذي صدرت عنه بالصدور المتنامي[٥٦] .

وقد ذكر ماسنيون الى ان ابن عربي هو اول من صاغ اصول مذهب وحـــدة الوجود[٥٧] ، ويؤيد ذلك المستشرق نيكلسونحينما نفى ان يكون هـــذا المـــذهب (مذهب وحدة الوجود) قد ارتبط بأي أسم آخر غير أسم أبن عربي[٥٨] .

تتمحور فكرة ابن عربي وفق هذا المذهب بعبارة (ليس ثمة شئ غيـــر الله) ، وعلى هذا الأساس يقيم البرهان على القضية المسلمة المختلف عليها ، والقائلة بان الله يتجلى في كل موجود ، ومن هنا فاله ابن عربي على الرغم من انه ذات نفسه محض ومن غير صفات ، فانه يتكشف عن بعض الصفات حالما يتجلى في مظهر من مظاهر الوجود والكون ، بيد ان الله تعالى لم يخلق الكون او يسببه او يشأه كما (نؤمن نحن) ، بل على وفق فكرة ابن عربي ان الكون لا يعدو ان يكـــون تجليـــاً لشئ موجود فيحل ذلك في ذات الله تعالى .

لقد وضع ابن عربي مذهب وحدة الوجود في صورته النهائية ، وخصص لهُ مصطلحاً صوفياً كاملاً استمده من كل مصدر وسعه ان يستمد منـــه ، كـــالق رآن الكريم ، والحديث ، وعلم الكلام ، والفلسفة المشائية والافلاطونية وغيرها[٥٩] .

ويرى ابن عربي ان الوجود كلاً واحداً ، ولكن يسميه باسمين متقابلين: ينظر الى مظاهر الوجود فيراها متعددة مختلفة جبالاً ، وانهاراً ، واشجاراً ، وحيوانـــاً ،

وبشراً ، وكواكب فسمى هذه الاشكال المختلفة (الخلق) أي العالم ، ثم يعود فيرى ان هذه الاشكال المختلفة ليست الا مظاهر لذات واحدة ، لعلة واحـــدة ، لحقيقـــة واحدة ، يسميها الحق (الله تعالى)[٦٠] .

لقد لاقت نظرية ابن عربي في وحدة الوجود اهتماماً كبيراً وترحيباً واســـعاً بين اوساط المستشرقين ، وكان اكثر المعجبين فيها المستشرق الانكليزي نيكلسون الذي قال :" انه من الانصاف ان نعترف بفضل هذا الفيلسوف _ابن عربي_ الذي لم يكن مؤمناً بوجود الله سبحانه وتعالى فحسب ، بل نادى كـــذلك بـــان جـــوهر الحقيقة الإلهية انما يقوم على الحب ، وليس في مقدور انسان كائن مـــن كـــان ان يكشف عن أسمى مافيه من الاستعدادات من غير ان يدين بهذا المبدأ الأزلي الخالد الذي يجعل من الوجود كله وحدة متماسكة "[٦١] .

ابن عربي ومكانته عند المستشرقين

لقد نال ابن عربي حيزاً كبيراً من مساحة الدراسات الاستشراقية ، لما نـــال من الاعجاب بسبب كثرة مؤلفاته وتنوع أفكاره ، لذلك تعددت الاشادات به من قبل كبار المستشرقين . فهذا المتخصص الاول في التصوف المستشرق نيكلسون يقول عنه :" انه من أعظم متصوفي الإسلام "[٦٢] . ويؤيده بذلك المستشرق بـــراون :" انه أعظم متصوفة العرب ومن أعظم الصوفيين الذين ظهروا في الاسلام "[٦٣] .

يبدو ان تأثير ابن عربي كبيراً على المستشرقين ، اذ لا يتوانى بلاثيوس عن الاعتراف بمكانته السامية قائلاً :" يكفي ابن عربي فخراً انه اثر في صـــوفي العرب والفرس تأثيراً كبيراً ، وكانت كتبه الينبوع الدافق للإلهام عند اولئك الذين اردوا ان يشفوا غليلهم للمثل العليا الدينية من مفكرين روحانيين في ايران وفـــي البلاد الناطقة بالعربية الى تفسير الكون تفسيراً صوفياً منذ ايام ابن عربي حتـــى الوقت الحاضر ، وكتبه لاتزال حتى اليوم تخرج من مطـــابع القـــاهرة وبومبـــاي واستانبول "[٦٤] .

وتكمن براعة ابن عربي في كونه قد أسس لنفسه منهجاً مميزاً يجمع مـــابين الفلسفة والدين ، وحاول ان يقدم للدين الإسلامي بصورة صوفية فلسفية ، وهـــذا

المنهج كان سبباً في اثارة اعجاب المستشرقين لاسيما وقد اقترن بالنتاج الضخم من المؤلفات . فالمستشرق الفرد جيوم يرى ان اسبانيا أنجبت ثلاثة من المفكرين المنحدرين من أصل عربي ومن بينهم ابن عربي ، الذي يجده بانه كان مؤثراً في الناس ، ويرجع إليهم الفضل في مزج الفلسفة بالدين[٦٥] .

ثم يعترف بروكلمان بمكانة ابن عربي الكبيرة وغزارة انتاجه بقوله :" هو من أخصب المؤلفين عقلاً وأوسعهم خيالاً ، واذا قيس بسواه من كبار الفلاسفة والمؤلفين في الإسلام كابن سينا والغزالي فانه يفوقهم جميعاً في هذا الميدان من ناحيتي الكم والنوع معاً "[٦٦] .

كما نلاحظ فان عبارات الثناء لهذا العالم المسلم لا تقتصر على مستشرق واحد أعجب بفكره ونتاجه ، بل الأمر ينسحب على عدد كبير من المستشرقين ، وكارادوفو واحدٌ منهم حين يثني على ابن عربي قائلاً :" اذا ما نظرنا الى هذا المؤلف من حيث تاريخ الفلسفة العام ، نجد انه لايستحق الاهمال على الرغم من صعوبة اسلوبه ... وقد مثل أبن عربي دور موسوعي بجمعه افكاراً من هنا وهناك ومزجهُ لها ضمن منهاج ملائم ظهر بروح فلسفية "[٦٧] .

لقد فسر ابن عربي المعتقدات الإسلامية الرئيسة تفسيراً باطنياً من الصعب فهمه ، لذلك لم يتقبله المسلم بسهولة ، وعلى هذا الأساس نظر إليه بعضٌ من المسلمين بعين ملؤها الريبة البالغة ، وقد هاجمه بعض الفقهاء واتهموه بنشر مذاهب الزندقة ، ومع ذلك فقد تشيع له كثيرون ودافعوا عن آرائه بحماس ومنهم المستشرقون[٦٨] .

<u>تأثير ابن عربي في الغرب</u>

لم ينحصر تأثير ابن عربي على الشرق ، بل تعدى ذلك ليشمل الأوساط الأوربية ، لاسيما المفكرين والأدباء والفلاسفة ، فكثير من افكار ابن عربي كانت منبعاً لهم ، ومن خلالها ظهرت إبداعاتهم ونشروا أفكارهم القيمة ، مثلما يعترف بذلك المستشرق نيكلسون :" وليس من شك ان ابن عربي كان موضوع دراسة بعض أئمة المسيحية ، وان دانتي الشاعر الايطالي مدين له بطريق غير مباشر في

بعض اثاره الفنية ، وان نظريات هذا الفيلسوف المسلم سحرت بعض فلاسفة أوربا وعلى راسهم اسبينوزا وهيجل وجذبت اليهم افكارهم "(٦٩) .

ويبين الفرد جيوم الصلة الوثيقة مابين كتابات ابن عربي من جهة وبين كتابات دانتي من جهة اخرى ، ويعّد جيوم ذلك دليلاً على تأثر دانتي بافكار وكتابات ابن عربي ، اذ يقول :"ونحن ندين للدراسات الرائعة التي قام بها آسين بلاثيوس الاسباني في اكتشاف التأثير العظيم لابن عربي على دانتي ، فقد وصف ابن عربي جهنم والسموات وجنة المؤمنين وجموع الملائكة التي تحف بالنور الالهي والحور العين ، ومن العجيب ان ابن عربي ودانتي قد اضطرا الى التعقيب على كتابتهما ليبينا ان اناشيد الحب عندهما كانت ذات دلالة مجازية لا غرامية ، ومنذ ذلك الحين اكتشفت الصلة بين الكاتبين ودخلت حقيقة هذا الاتصال ضمن تاريخ الادب الاوربي "(٧٠) .

ولعل من ابرز ما يجسد تأثير ابن عربي في الغرب قول المستشرق لاندو :"انه احد المفكرين الاكثر أصالة عند العالم الغربي ، احدث تركيباً موفقاً مابين الصوفية والفلسفة ، كان مؤلفاً خصب الانتاج ، وضع الفلسفة اللاثنائية ، حل معظم المشكلات التي أعيت من سبقوه ، ... فتن معظم المتصوفة والمفكرين المسيحيين واثر فيهم ، كما اثر في بعض المفكرين النصارى مثل برونيتو لاتيني ، ودانتي الذي يبدو انه اقتبس كثيراً من مفاهيم ابن عربي للجنة والنار ، وقد أعيد اكتشافه في الغرب خلال السنوات الأخيرة فشرع كثير من العلماء الغربيين يدرسون اثاره "(٧١) .

ولم ينحصر تأثير ابن عربي بالغرب إلى هذا الحد فحسب ، بل قد اعترف بعض المستشرقين بأكثر من ذلك ، اعترفوا بتأثيره الواضح على نهضة الفكر الأوربي وتطور معارفه في الأدب والفلسفة واللاهوت والتصوف ، وفي الإصلاح الديني ، مثلما صرح بذلك المستشرق الاسباني بلاثيوس الذي اعترف بان ابن عربي هو الأستاذ الحقيقي للنهضة الصوفية الدينية في أوربا(٧٢) . وقد شاطره هذا الرأي المستشرق نيكلسون بقوله :" ان ابن عربي عبقري الإسلام في دراساته الجريئة في الإلهيات ومشاهداته الكبرى في عالم الأرواح ، وقد عبّد السبل إمام

اللاهوت المسيحي للنهوض والتحلل من القيود "[٧٣] ، ثم أضاف :" واثر ابن عربي في النهضة الأوربية لم يقتصر على هذا فحسب ، بل له اثاره في بعث الأدب الأوربي أيضا "[٧٤] .

يتضح مما تقدم ان اثر التصوف الاسلامي بوجه عام ، وتصوف ابن عربي بوجه خاص ، كان كبيراً على الساحة الغربية ومفكريها ، وعلى هذا الاساس فان اثر ابن عربي لم ينحصر ضمن ساحة الفكر الاسلامي فحسب ، بل تعدى الحدود ووصل بعيداً ليشمل نهضة الفكر الأوربي ومجالاته المعرفية ، لاسيما تلك المجالات الروحانية المتصلة بالدين ، والمعرفية المتصلة بالفلسفة .

ان لرواد التصوف الإسلامي (أبن عربي أحدهم) اثر كبير في جذب العقول نحو اعتناق الإسلام ، العقول الباحثة عن الحقيقة ، فأفكار المتصوفة المسلمين وتراثهم له اكبر الفضل في انارة تلك العقول وجذبها للإسلام ، رغم اننا لا ننكر عناصر القوة المتمثلة بأصالة الإسلام ومبادئه الإنسانية النبيلة التي لها كل الأثر على عقول المنصفين الباحثين عن الحقيقة الصادقة ، ولكن اجتمعت تلك الصفات الطيبة بتعبيرات المتصوفة المسلمين ، فانبعثت صورة جميلة مليئة بحياة الزهد والانصراف الى طاعة الله تعالى ، والتغني في هذا الحب الإلهي حب العبد للرب ، فأسرت تلك العقول وجذبتها للإسلام ، ولقد وصف المستشرق الفرد جيوم حال المتصوف المسلم بقوله :" يجد الصوفي لذة عظيمة ، اذ يفني نفسه في ذات الله المطلقة "[٧٥] .

وخير ما اختتم به صفحات هذا البحث المتواضع هي كلمات المستشرق مارتن لنجز الذي جذبه صفاء ونقاء التصوف الإسلامي حتى اعتنق الإسلام ، ولما سُئل ماذا يستطيع ان يقدم التصوف الإسلامي ، قال :" التصوف عندي هو وحدهُ القادر على انشاء جيل عربي إسلامي مؤيد بالأخلاق الفاضلة ، جيل يتمسك بالعروة الوثقى وبالمثاليات العالية ... انني أوربي وقد وجدت خلاص روحي ونجاتها في التصوف "[٧٦] .

Abstract :

Generally ,the Islamic mystical studies are the most important and essential studies in the field of the historical thought . so there is no doubt that the mysticism may rise for the hieghest range in the humanistic thought and the best one . usually , the mustic does not have an ordinary thought just like the other people , and he does not look at the materialist things in an ordinary view . so the mystics have agreat effect on the Islamic life and also it exceeds to contian the humanistic life ingeneral through the thoughts , theories , contributions of those muslim mystic .

The orientors have had special interest with the Islamic mysticism and its characters . this interest were combined with on admiration (in their writing we have less interest by al – islam and its characters) .

Ibn – araby was amuslim , mystical philosopher . and one of the most important character in the Islamic mysticism .he attained this interest from the great orieutors so they have studied his prodnctions and they do not hide their admiration with his theories and his mystical philosophy . so we suggest him as amodel for owr research which entitled (the columns of Islamic mysticism in the scale of orientalism , ibn – araby as amodel) .

الهوامش

١- المقري ، احمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، القاهرة ، ١٢٧٩هـ ، جـ١ ، ص٤١٠ .

٢- مجموعة مؤلفين ، دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرون ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، جـ١ ، ص٢٣٢ .

٣- بلاثيوس ، آسين ، ابن عربي حياته ومذهبه ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٥ .

٤- الطيباوي ، عبد اللطيف ، التصوف الاسلامي العربي ، دار العصر ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص٩٩ .

٥- المقري ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص٤١٠ .

٦- البير نصري ، نادر ، التصوف الاسلامي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لا.ت ، ص١٢٠ .

٧- دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١ ، ص٢٣٢ .

٨- فروخ ، عمر ، التصوف في الاسلام ، بيروت ، ١٩٤٧ ، ص١٦٨ .

٩- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٤٣-٤٤ .

١٠- المصدر نفسه ، ص٥٦ .

١١- فروخ ، التصوف ، ص١٦٩ .

١٢- ينظر: بلاثيوس ، ابن عربي ، ص ص٥٩-٦٦ .

١٣- الحنبلي ، ابي الفلاح عبدالحي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهـــب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لا.ت ، جـــ٥ ، ص١٦٩ .

١٤- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٨٥ .

١٥- جمعة ، محمد لطيف ، تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٢٧ ، ص٢٩٤ .

١٦- ابن عربي ، ابي بكر محمد بن علي ، الفتوحات المكيـــة ، ط٢ ، مصــــر ، ١٢٩٣هـــ ، جـــ٢ ، ص١٧ .

١٧- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص١٥ .

١٨- ابن عربي ، الفتوحات ، جـــ٢ ، ص٢٠٩ .

١٩- المصدر نفسه ، جـــ٤ ، ص٦٧٥ .

٢٠- المصدر نفسه ، جـــ٣ ، ص٧٠٥ .

٢١- ينظر: جمعة ، تاريخ فلاسفة الاسلام ، ص٢٩٤-٢٩٥ .

٢٢- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٢٦ .

٢٣- ابن عربي ، فصوص الحكم ، تحقيق ابو العلا عفيفي ، دار احيـــاء الكتـــب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص٤ .

٢٤- بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، بلا ، لا.ت ، ص٤٤١ .

٢٥- لاندو ، روم ، الاسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لا.ت ، ص٢٣٣ .

٢٦- نيكلسون ، رينولد ، تاريخ الادب العباسي ، ترجمة وتحقيق صفاء خاوصي ، منشورات المكتبة الاهلية ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٢١١ .

٢٧- ينظر: فروخ ، التصوف ، ص١٧٣ .

٢٨- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٨٨ .

٢٩- ينظر: مقدمة المترجم لكتاب فصوص الحكم لابن عربي ، ص٧ .

٣٠- عفيفي ، ابو العلا ، ابن عربي في دراساتي ، بلا ، لا.ت ، ص٥-٦ .

٣١- الكتبي ، صلاح الدين محمد بن شاكر ، فوات الوفيات ، مطبعـــة بـــولاق ، القاهرة ، ١٢٨٣هـــ ، جـــ٢ ، ص٣٠٢ .

٣٢- ينظر: حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقــافي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٥٤٧ .

٣٣- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص١١ .

٣٤- ابن عربي ، الفتوحات المكية ، جــ٣ ، ص٥٨ .

٣٥- المصدر نفسه ، جــ٣ ، ص٥٨-٥٩ .

٣٦- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص١١٢ .

٣٧- ابن عربي،التدبيرات الإلهية ، طبعة نتبرج ، بلا ، لا.ت ، ص١١٤-١١٥ .

٣٨- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٢٢٨ .

٣٩- ابن عربي ، التدبيرات الالهية ، ص١١٣ .

٤٠- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص١١٤ .

٤١- نيكلسون ، تاريخ الادب ، ص٢١٤ .

٤٢- المصدر نفسه ، ص٢١٣-٢١٤ .

٤٣- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٢٦٠ .

٤٤- نيكلسون ، رينولد ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ترجمة ابــو العــلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٤٧ ، ص١٠٠ .

٤٥- ابن عربي ، الفتوحات ، جــ٢ ، ص٤٣٢ .

٤٦- المصدر نفسه ، ص٤٢٩ .

٤٧- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص ص٢٣٨-٢٤٣ .

٤٨- المصدر نفسه ، ص٢٤٣ .

٤٩- نيكلسون ، في التصوف الاسلامي ، ص١٠١ .

٥٠- المصدر نفسه ، ص١٠٢ .

٥١- نيكلسون ، تاريخ الادب ، ص٢١٥ .

٥٢- ابن عربي ، الفتوحات ، جــ٢ ، ص٤٢٩ .

٥٣- المصدر نفسه ، ص٤٣٤-٤٣٥ .

٥٤- دائرة المعارف الاسلامية ، جــ١ ، ص٢٣٣ .

٥٥- فروخ ، التصوف ، ص١٧٩ .

٥٦- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٢٥٢ .
٥٧- ماسنيون ، التصوف ، ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون ، القاهرة ، لا.ت ، ص٤٢ .
٥٨- ينظر: ابن عربي ، فصوص الحكم ، تعليق ابو العلا عفيفي ، ص٧ .
٥٩- فروخ ، التصوف ، ص١٨٠ .
٦٠- عياد ، احمد توفيق ، التصوف الاسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته واثره ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص.١٣٣
٦١- نيكلسون ، في التصوف الاسلامي ، ص١٠٠ .
٦٢- نقلاً عن فروخ ، التصوف ، ص١٧٥ .
٦٣- بلاثيوس ، ابن عربي ، ص٩٧ .
٦٤- جيوم ، الفرد ، تراث الاسلام ، ترجمة توفيق الطويل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٣٦ ، ص.٢٨٤
٦٥- بروكلمان ، تاريخ الادب ، جــ١ ، ص٤٤١ .
٦٦- كارادوفو ، البارون ، الغزالي ، ترجمة عادل زعتر ، دار احيــاء الكتــب العربية ، مصر ، ١٩٥٩ ، ص.٢٢٤
٦٧- دائرة المعارف الاسلامية ، جــ١ ، ص٢٣١-٢٣٢ .
٦٨- نقلاً عن عياد ، التصوف الاسلامي ، ص١٤٠ .
٦٩- جيوم ، الفرد ، الاسلام ، ترجمة محمد مصطفى هدارة وشوقي الســكري ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، ١٩٥٨ ، ص.١٤٣
٧٠- لاندو، الاسلام والعرب ، ص٢٤٤ .
٧١- ابن عربي ، لطائف الاسرار ، تحقيق احمد زكي عطية وطــه عبــدالباقي سرور ، دار القلم العربي ، بلا ، ١٩٦١ ، مقدمة المحقق .
٧٢- المصدر نفسه .
٧٣- المصدر نفسه .
٧٤- جيوم ، الاسلام ، ص١٤٧ .
٧٥-عياد ، التصوف الاسلامي ، ص٣٢٣ .

قائمة مصادر البحث

أولاً: المصادر الاصيلة :

- الحنبلي ، ابي الفلاح عبدالحي

١- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لا.ت .

- ابن عربي ، ابي بكر محمد بن علي

٢- التدبيرات الإلهية ، طبعة نتبرج ، بلا ، لا.ت .

٣- الفتوحات المكية ، ط٢ ، مصر ، ١٢٩٣هـ .

٤- فصوص الحكم ، تحقيق ابو العلا عفيفي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٥- لطائف الاسرار ، تحقيق احمد زكي عطية وطه عبدالباقي سرور ، دار القلم العربي ، بلا ، ١٩٦١ .

ثانياً: المراجع العربية الحديثة :

- البير نصري ، نادر

٦- التصوف الاسلامي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لا.ت .

- حسن ، حسن ابراهيم

٧- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- جمعة ، محمد لطيف
٨- تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب ، مطبعة المعـــارف ، مصـــر ، ١٩٢٧ .
- الطيباوي ، عبد اللطيف
٩- التصوف الاسلامي العربي ، دار العصر ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
- عفيفي ، ابو العلا
١٠- ابن عربي في دراساتي ، بلا ، لا.ت .
- عياد ، احمد توفيق
١١- التصوف الاسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته واثره ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- فروخ ، عمر
١٢- التصوف في الاسلام ، بيروت ، ١٩٤٧ .

ثالثاً: المرجع الاجنبية المترجمة :

- بروكلمان ، كارل
١٣- تاريخ الادب العربي ، بلا ، لا.ت .
- بلاثيوس ، آسين
١٤- ابن عربي حياته ومذهبه ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- جيوم ، الفرد
١٥- الاسلام ، ترجمة محمد مصطفى هدارة وشوقي السكري ، مطبعـــة لجنـــة البيان العربي ، مصر ، ١٩٥٨ .
١٦- تراث الاسلام ، ترجمة توفيق الطويل ، مطبعة لجنـــة التـــأليف والترجمـــة والنشر ، مصر ، ١٩٣٦ .

- كارادوفو ، البارون

١٧- الغزالي ، ترجمة عادل زعتر، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٩٥٩ .

- لاندو ، روم

١٨- الاسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايـــين ، بيـــروت ، لا.ت .

- ماسنيون

١٩- التصوف ، ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون ، القاهرة ، لا.ت .

- مجموعة مؤلفين

٢٠- دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرون ، القاهرة ، ١٩٣٣.

- نيكلسون ، رينولد

٢٠- تاريخ الادب العباسي ، ترجمة وتحقيق صفاء خاوصي ، منشورات المكتبة الاهلية ، بغداد ، ١٩٦٧ .

٢١- في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ترجمة ابو العلا عفيفي ، مطبعـــة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٤٧ .